وكذلك الإلحاح حيث الملحّ هو السائل دون المسؤول، اللهم إلّا أن يعني الحفي المفعول يعني أنت ملحّ عنها؟ والإلحاح في السؤال عنها عنه ﷺ أمر واقع مكرور فكيف ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾! اللّهم إلا أن تعني أنك عالم تلحّ في السؤال عنها حتى تعترف بجهلك بها أو تجيبهم بشيء حتى يكذبون[١]، أم حين تسكت يقولون: أنت ضنين بها[٢].

وقد يناسب المقام أن تعني الحفيّ الخفيّ: كأنك خفي عنها بمعنى أن ربك أخفاك عنها وكان له أن يعلمك إياها لأنه ﴿رَبُّكَ﴾ فكيف يضنّ بإعلامك إياها؟! أو كأنك ملح في السؤال عنها ربك فمخبرك إياها إذا كرر عليك السؤال عنها، أو كأنك أخبرت عنها بالحاحك في السؤال عنها أو كأنك حاف عنها راجل عن العلم بهذه المهمة العظمى فكيف - إذاً - أنت رسوله الأعظم ونبيه الأكرم وأنت حاف لا تقدر أن تمشي مشية الرسالة الصالحة حيث تجهل الساعة.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإذا لمح ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ إمكانية أن تعلّمها بتلك التربية الطليقة فهنا بصيغة أخرى ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تقضي على هذه الإمكانية بأسرها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ - ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلذلك يحفونك في السؤال عنها كأنك حفي عنها.

فذلك السؤال المكرور الإلحاح الإحفاء كان القصد منه إحراج الرسول ﷺ حتى يعترف بجهله! أم انه بخيل عن الإجابة، أو ربه بخيل عن تعليمه إياها أو يدعى العلم بها فهو إذا كاذب كما سولت لهم اليهود. إزراءً

(١) الدر المنثور ٣: ١٥٠ عن قتادة قال قالت قريش يا محمد أسر إلينا الساعة لما بيننا وبينك من القرابة، قال: يسألونك كأنك حفي عنها.

(٢) الدر المنثور ٣: ١٥٠ - أخرج ابن إسحاق وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال قال حمل ابن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله ﷺ أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول فإنا نعلم ما هي، فأنزل الله هذه الآية.

بساحته ومساً من كرامته، فجاء جواب حاسم لا حول عنه ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

فالساعة غيب مغيّب من غيوب الله الخاصة حيث استأثر الله بعلمه، ولكن المشركين يحفون في السؤال عنها بين اختبار الامتحان والامتهان، وسؤال المستعجب المستقرب، وسؤال المستهين المستغرب.

والجواب الحاسم جهله وجهل من في السماوات والأرض بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

أجل: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وكيف لا تثقل؟:

«حتى إذا تصرمت الأمور، وتفضت الدهور، وأزف النشور، أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح المهالك، سراعاً إلى أمره مهطعين إلى معاده، رعيلاً صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، عليهم لبوس الاستطانة، وضرع الاستسلام والذلة، قد ضلت الحيل، وانقطع الأمل، وهوت الأفئدة كاظمة، وخشعت الأصوات مهيمنة، وألجم العرق، وعظم الشفق، وأرعدت الأسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب، ومقايضة الجزاء، ونكال العقاب، ونوال الثواب - عباد مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومقبوضون احتضاراً، ومضمنون أجداثاً، وكائنون رفاتاً، ومبعوثون أفراداً، ومدينون جزاء، ومميزون حساباً» (٨١) - «حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، أماد السماء وفطرها، وأرج الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضها بعضاً من هيبة جلالته، ومخوف سطوته، وأخرج من فيها فجددهم بعد إخلاقهم، وجمعهم بعد تفريقهم، ثم ميزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال، وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين، أنعم على هؤلاء، وانتقم من هؤلاء» (١٠٧).

وَي «وكأن الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلت عنكم العلل، واستحقت بكم الحقائق، وصدرت بكم الأمور مصادرها...» (١٥٥) -

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾:

آية صريحة لا حول عنها في أنه ﷺ لا يعلم الغيب كأصل، اللّهم إلّا ما يعلّمه الله تعالى قضية ضرورة الرسالة الربانية: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾(١) (٢).

وهنا ﴿ٱلۡغَيۡبَ﴾ هو الغيب المطلق الذي لا يتحوّل شهوداً لمن سوى الله، فما ورد متظافراً «أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة» مطروح أو مأوّل ببعض الغيب، وهو المرتبط بالوحي الرسالي، فحين لا يعلم الرسل غيب الآيات الرسالية التي تجري بذوات أيديهم، فكيف يعلمون سائر الغيب التي ليست لتجري على ألسنتهم وأيديهم كغيب الساعة وما أشبه.

وهنا ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ تعم ملك العلم والقدرة، ف ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ تستثني ملك بعض النفع والضر، سواء أكان غيباً أم شهوداً، أو كان مقدوراً عادياً أم سواه، فقد يصدق انه ﷺ - فضلاً عمن سواه - لا يعلم الغيب المطلق مهما علّم مطلق الغيب حيث يستثنيه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

ثم ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ تحيل له علم الغيب عن بكرته ذاتياً أم

(١) سورة الجن، الآيات: ٢٦-٢٨.
(٢) راجع تفسير الآية في الفرقان ٢٩: ٢٠١ - ٢٠٦.

تعلماً من الله حيث الاستكثار من الخير لا يختص بذاتية علم الغيب، بل العلم ذاتياً أم عرضياً بالغيب ينتج الاستكثار من الخير وعدم مس السوء حيث الإيجابية العملية وسلبيتها وجاه الخير والشر، هما من خلفيات طليق العلم بالغيب.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾[١] - ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾[٢] - ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾[٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٤].

وترى ﴿لَآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ تسلب عنه - وبأحرى ممن سواه - الإختيار في جلب النفع وسلب الضر؟ كلّا لمكان ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ حيث تثبت له ملكاً للنفع والضر بمشيئة الله، وهي عبارة أخرى عن الأمر بين أمرين، فنحن لا نملك نفعاً ولا ضراً مستقلين عن إرادة الله، والله لا ينزّل علينا نفعاً ولا ضراً دون عمل ومحاولة منا اللّهم إلا ما لا يحصل بعمل وما أشبه، فقد يشاء الله ما نشاء حسب الصالح من حكمته تعالى وتقدس ف ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[٥] وما أشبه دليل واقع المشية منا في خير أو شر، ولكنها مربوطة بإذن الله.

﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ فقد انحصر كياني في هذه السلبية والإيجابية الرساليتين في حقل رسالتي من الله، دون أية ولاية تكوينية أو تشريعية، ولا أي علم لا تقتضيه الرسالة الربانية لزاماً أو رجحاناً.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٣) سورة يونس، الآية: ٢٠.
(٤) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٥) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

ذلك، وقد يروى عنه ﷺ قوله: «والله ما أدري وأنا رسول ما يفعل بي» نسخة طبق الأصل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

هذه الآيات هي قبل صحيح التأمل فيها قد تكون متسرّبا لوثنيات مفتريات على أبينا الأول أول المرسلين المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، لحد يختلق عن خاتم المرسلين ﷺ أنه قال: «خدعهما مرتين»[(١)]

(١) الدر المنثور ٣: ١٥٥ - أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: ولد لآدم ولد فسماه عبد الله فأتاهما إبليس ما سميتما ابنكما هذا؟ قال: عبد الله، وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه =

يعني الشيطان، فالخدعة الأولى حيث أضلهما في الجنة وجاه الشجرة المنهية، والثانية لما ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ كما هنا!! ذلك رغم أن الله اجتباه بعد ما هبط إلى الأرض، وكيف يقع اجتباءه على من يشرك به وقد علّمه الأسماء كلها؟! أجهلاً بما يشرك، أم اجتباء لمن يشرك! فكيف بالإمكان للذي علّم الأسماء كلها، وقد عرّفه الله الشيطان إذ هما في الجنة، كيف له أن ينخدع مرة أخرى هي أفضح من الأولى أن يسمي بعض أولاده أسماء شركية؟ فهل ضاقت عليه الأسماء بما رحبت فلم يجد لولده اسماً إلّا ما يختاره عدوه المعروف لديه؟

ذلك، وليس في مسرح هذه الآيات ذكر من الشيطان، ولو كان هو المقصود من ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ لكان النص «جعلا له شريكاً» لوحدة هذا الشيطان، ثم ﴿مَا لَا يَخْلُقُ﴾ كان «من لا يخلق» اعتباراً بأن الشيطان من ذوي العقول.

وبعد ذلك كله فضمائر الجمع التي هي هنا بضع وعشرون وفي أفعال مستقبلة! لا تناسب خصوص أبوينا الأولين، فلو كانا هما المقصودين لكان حق النص التثنية الماضية، لا سيما وأن الحق في اجتثاث جذور الوثنية عن بكرتها منذ بزوغها أن يركز على أول المشركين، فلو كان أبوانا هما اللذان أشركا بالله قبل كل المشركين! لكان الحق تركيز الضمائر في ذلك التنديد المديد عليهما، دون أولادهما اللذين لم يولدوا بعد والذي ولد لمّا يبلغ الحلم حتى يكلّف فيندّد بشركه.

ذلك خلاف ما يروى أنه بعد مرات عدة لم تكن زوجه موفقة حيث

= عبد الله فقال إبليس: أتظنان أن الله تارك عبده عند كما والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمّياه عبد شمس فسمّياه فذلك قوله تعالى: أيشركون ما لا يخلق شيئاً الشمس لا تخلق شيئاً إنما هي مخلوقة، قال وقال رسول الله ﷺ: خدعهما مرتين.

ولدت ناقصاً لا يعيش[١]! فإنها من الإسرائيليات المسيحية والمسيحيات الإسرائيلية التي تلقي كل عصان على آدم وزوجه، وهنا «مرت به» أي الحمل، هو المرور كعادة بلا ثقل حيث لا تحس ذلك الحمل.

فالعلاقة الأولية بين الزوج ومسكنه هي التغشي حباً وشهوة وإنجاباً للمماثل، والتغشي هو أحسن تعبير عن ذلك اللقاء اللقاح حيث يغشى كيانها ككل فتحشر فيه بكلها روحاً وجسماً، فهو التقاء روحين بجسدين وجسدين بروحين، كما الزواج هو الالتقاء المثنّى وأهمها الروح إذ هو الذي يدرك المسكن، وهذه صورة إنسانية في تلك المباشرة بعيدة عن الحيوانية الخالصة الكالسة الفالسة، قريبة إلى الإنسانية الصالحة، إنجابا لصالح.

﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ بحملها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ الذي رباهما وحملها ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ يصلح للحياة الإنسانية ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ المخلصين لك الدين.

فقد تبين الحمل وتعلقت به قلوبهما وجاء دور الأطماع فيه، المختصرة في صيغة (صالحاً) وهو الصلاح الظاهر عند الولادة لمكان ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ حيث الصلاح الظاهر عند الولادة ليس إلا الظاهر في الحياة الإنسانية، دون الباطن الذي لا يظهر إلّا عند بلوغ الحلم، لا سيما وأن الطبيعة الإنسانية المائلة إلى الإشراك لا تنحو نحو صلاح الباطن.

فهذه قصة واقعية عامة بين بني الإنسان تصويراً لمدارج الانحراف في النفس الإنساني من معارج الفطرة التي فطرهم الله عليها:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ يعيش عيشة صالحة ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ وهنا ﴿شُرَكَآءَ﴾ دون «شريك» لا ينطبق على الشيطان،

(١) الدر المنثور ٣: ١٥١ عن سمرة عن النبي ﷺ قال: لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره.

كما أن ﴿يُشْرِكُونَ﴾ جمعاً لا ينطبق عليهما، إذا فهما كل أبوين من هذا النسل، أنهما عند اثقالها يدعوان الله ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ولكنهما ينسيان صالح ما آتاهما الله إلى طالح الإشراك به حيث ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ إذ يخيل إليهما أن لغير الله مدخلاً في صالح الولد.

وهذه طبيعة الإنسان الغفلان النسيان إلّا من هداه الله ووقاه، تخلفا عما فطره الله عليه كما ويكرر قصّ ذلك التخلف في القرآن بصورة عدة:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[2] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[3].

وهكذا ينقطع الإنسان فطرياً إلى ربه حين تنقطع الأسباب التي كان يعيشها، فلما كشف عنه ضره رجع إلى نفس الأسباب معتبراً إياها كأنها الكاشفة له ضره، فقد يمرض مرضاً هالكاً فلا ينفعه أي طبيب ولا دواء، فلمّا يعافى ينسب عافيته إلى كل شيء إلّا الله! هذا، والقول إن ﴿يُشْرِكُونَ﴾ وما أشبه جمعاً لا ينافي تثنية الأبوين، فإن دأب القرآن الدائب هو التعميم بعد التخصيص إعطاء للضابطة، مردود بظاهر الجمع الراجع إلى صاحبي القصة، إلّا إذا دلت قرينة كما فيما تقولون، ولو كانت هنا قرينة كسائر الموارد فـ ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ - لأقل تقدير - لا تعني - فقط - آدم عليه السلام مهما كان محتملاً، ولكن

(١) سورة يونس، الآية: ١٢.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الروم، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

الاحتمال ليس بناء الاستدلال، ففرية الإشراك على أبوينا الأولين لا سناد لها هنا، والأسناد القرآنية الأخرى تترى على أنهما كانا موحدين، مهما عصيا في الجنة: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[1] وكيف يقع اجتباء الله على من يشرك بالله فيما يعلم منه و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2] ولا يلمح القرآن بعد عصيان آدم في الجنة أية لمحة لتخلف منه صغير طيلة حياته وهو رسول، فضلاً عن هكذا الإشراك بالله، وعوذاً بالله من هذه المختلقات الزور الغرور التي يزوّرها لأهليها الغرور، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ إشراكاً به في صالح ما آتاهم من ولد؟ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾؟

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ وهنا الخطاب الجمع برهان آخر مع عساكر البراهين الأخرى أن التنديد غير وارد على أبوينا الأولين ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أنتم المشركون على مدار الزمن ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ فهؤلاء الذين تدعونهم من دون الله من حي وميت هم في ضلال لا يهتدون فكيف يتخذون شركاء لله ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3]!.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أياً كانوا وحتى الملائكة والنبيين هم ﴿عِبَادٌ﴾ لله ﴿أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنهم ليسوا أمثالكم بل هم آلهة كما الله.

﴿أَلَهُمْ﴾ أولاء الأموات منهم الذين تعبدونهم ﴿أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣٥.